

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة النازعات

وهي سورة مكية، تبدأ بقول الله عز وجل:

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّيِّحَاتِ سَبًا ۝٣ فَالْسَّيِّغَاتِ سَبًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝٥﴾

هذا قسم من الله عز وجل بالملائكة، ومعناه: أقسم بالملائكة ﴿النَّازِعَاتِ﴾ التي تنزع الأرواح من الأجساد، ﴿غَرْقًا﴾ أي: نزعًا تامًا، بكل شدة.

﴿وَالنَّشِطَاتِ﴾ أي: الملائكة التي تنزع الأرواح من الأجساد، ﴿نَشْطًا﴾ أي: بسهولة

ويسر.

﴿وَالسَّيِّحَاتِ﴾ في الفراغ؛ لتنفيذ أمر الله، ﴿سَبًا﴾ مسرعين، كالذي يسبح في الماء، ﴿فَالْسَّيِّغَاتِ﴾ في الإيمان والتصديق بوحداية الله، ﴿سَبًا﴾ أي: الملائكة التي تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.

﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ النازلات من السماء بأمر ربها؛ لتدبير شؤون الخلائق.

كل هذا القسم: محذوف الجواب؛ لشدة العلم به، وهو: (لَتُبْعَثُنَّ أيها الناس).

ولكن، متى يكون ذلك؟

إنه يكون: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاحِفَةُ ۝٦ تَبِعُهَا الرَّادِفَةُ ۝٧﴾

أي: في يوم القيامة.

وذلك ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ تتحرك الأرض حركة شديدة، وتنزل زلزالاً هائلاً، عند النفخة الأولى، التي يموت معها كل من على وجه الأرض.
ثم ﴿تَبْعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ وهي النفخة الثانية، التي يحيا معها كل من كان حياً قبل ذلك؛ للبعث والحساب.

ولكن ما حال الكفار الذين أنكروا البعث يومئذ؟ الجواب:

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ۝٩﴾

يعني: ﴿قُلُوبٌ﴾ لهؤلاء الكفار ﴿يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ خائفة قلقة من هول ما ترى.

﴿أَبْصَرُهَا﴾ أي: أبصار أصحاب هذه القلوب ﴿خَشِيعَةٌ﴾ ذليلة.

ولكن ما السبب في خوفهم هذا، وذلتهم التي نزلت عليهم؟
السبب: أنهم في الدنيا كانوا:

﴿يَقُولُونَ أَءَنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝١٠ أءَإِذَا كُنَّا عِظْمًا تَخِرَّةً ۝١١ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢﴾

يعني: يقولون أئرد بعد الموت إلى ﴿الْحَافِرَةِ﴾ وهي: الحياة مرة أخرى؟ هذا بعيد
﴿أءَإِذَا﴾ متنا و ﴿كُنَّا عِظْمًا تَخِرَّةً﴾ بالية: أنحيا من جديد؟ ثم ﴿قَالُوا﴾ مستهزئين!! لو حدث هذا: ستكون ﴿تِلْكَ﴾ العودة ﴿إِذَا كَرَّةٌ﴾ عودة ﴿خَاسِرَةٌ﴾ لأننا من أهل النار.

ويرد الله عليهم وعلى كل المكذبين، هذا الاستهزاء، فيقول سبحانه: ليس الأمر صعباً علينا:

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾

أي: ﴿هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ صيحة واحدة بأمرنا، ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ أحياء مرة أخرى

﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾ على وجه الأرض، في حالة فزع وخوف من شدة الأهوال.

فهل بعد هذا: لديكم استعداد أن تؤمنوا أيها المكذبون؟

وهل بعد هذا: لديكم استعداد أن تتوبوا أيها العصاة؟

ثم يواسي ربنا عز وجل حبيبه على عناد الكافرين له قائلاً:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾

إذ ذهب موسى ﷺ للقاء ربه، فأوحى الله إليه قائلاً:

﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزُكَّى ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ

فَتَخْشَى ﴿١٩﴾﴾

وذهب موسى إلى فرعون، ومعه من ربه الآيات الدالة على صدقه في أنه رسول من رب العالمين.

﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾﴾

وهي: العصا، التي ابتلعت كل حيل سحرة فرعون.

ماذا فعل فرعون؟ يقول ربنا سبحانه:

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ

الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾﴾

يعني: ﴿فَكَذَّبَ﴾ فرعون موسى ﴿وَعَصَى﴾ الله تعالى.

﴿ثُمَّ أَذْبَرَ﴾ أي: ترك فرعون موسى، وصار ﴿يَسْعَى﴾ في البحث عمن يُبطل آية

موسى هذه.

ولذلك: جمع السحرة ﴿فَحَشَرَ﴾ الناس في مكان كبير، ﴿فَقَالَ﴾ لهم متحدّياً

موسى، ورب موسى سبحانه: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ وليس لكم رب غيري، كما يزعم

موسى، فلا تتأثروا به، ولا تفتنوا بدعوته.

حقاً: إن هذا قمة الكفر والطغيان.

ماذا حدث لهذا الطاغية؟ يقول القوي العزيز:

﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ (٢٥)

نعم، ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾ وأهلكه بالغرق، وكان هذا الغرق ﴿نَكَالَ﴾ أي عقاب الكلمة ﴿الْآخِرَةِ﴾ هذه، وهي ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ﴾ والكلمة ﴿الْأُولَىٰ﴾ أيضًا، وهي ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]

حقًا: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَخْشَىٰ﴾ (٢٦)

فهل تعتبرون أيها المكذبون؟ وهل تعتبرون أيها العاصون؟

أيها المكذبون بوحداية الله!! وأيها المعاندون لرسول الله!! أيها البعيدون عن طاعة الله!! أخبروني:

﴿إِنَّمَا أَشَدُّ خَلْقًا أَوْ أَسْمَاءُ بَنِيهَا﴾ (٢٧) رَفَعَ سَعَىٰهَا فَسَوَّيَهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَلَهَا ﴿٣٢﴾ مَنَّاعًا لَّكُمْ وَلِآلِمِكُمْ ﴿٣٣﴾

يعني: هل بعثكم أصعب على الله تعالى، الذي فعل بقدرته عز وجل هذه الأشياء؟ على أية حال ستبعثون:

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾ (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَىٰ ﴿٣٦﴾

يعني: ﴿فَإِذَا﴾ بعثتم في يوم القيامة، و ﴿جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾ الأحداث والأحوال ﴿يَوْمَ﴾ ذاك: يحدث أمران:

الأمر الأول: ﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ﴾ إليه وعمله في الدنيا من خير وشر.

الأمر الثاني: ﴿وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَىٰ﴾ إظهاراً بيّناً لا خفاء فيه.

وحينذاك: تختلف مقامات الناس:

﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ٣٧ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ٣٨ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ٤١ ﴾
 اللهم : نجنا من الطغيان، ولا تجعلنا من الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة يا رب العالمين.

اللهم: اجعلنا من الذين يخافون مقامك، وينهون النفس عن الهوى يا رب العالمين.
 اللهم: لا تجعل الجحيم مأوانا، واجعل الجنة هي دارنا ومصيرنا يا رب العالمين.
 ثم يقول ربنا لحبيبه ﷺ:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ٤٢ ﴾

أي: يسألك هؤلاء الكفار عن يوم القيامة، قائلين: متى يكون؟
 ثم يجيب ربنا عز وجل قائلًا لحبيبه أيضًا:

﴿ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلَا ٤٤ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ يَحْشَاهَا ٤٥ ﴾
 يعني: ليس لك علم بوقتها، بل علمها عند الله، وأنت لم تبعث لتعلم بوقتها، بل لتُنذِر وتخشى من أهوالها من يريد النجاة من شدايدها.

على أية حال: حينما تقوم الساعة، يصير هؤلاء المكذبون:

﴿ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ٤٦ ﴾

أي: يندمون عما كان منهم في الدنيا القصيرة، السريعة النهاية.

obeikandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة عبس

سورة مكية، تبدأ بقول الله تبارك وتعالى:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾﴾

﴿عَبَسَ﴾ النبي ﷺ وقطب جبينه غضباً، ﴿وَتَوَلَّى﴾ مُعْرِضاً، وقت ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ وهو: عبد الله بن أم مكتوم، حيث كان معه ﷺ بعض كبار القوم، يعرض عليهم الإسلام.

وقد عاتبه ربه سبحانه على هذا التصرف بقوله:

﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ﴿٥﴾ فَإِنَّ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنِ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَى ﴿٩﴾ فَإِنَّ عَنَّهُ لُتَى ﴿١٠﴾﴾

أي: لم فعلت هذا؟ ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ ويتطهر بما سمعه منك، ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ ويتعظ ﴿فَتَنْفَعَهُ﴾ هذه ﴿الذِّكْرَى﴾.

و ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾ بماله عن الإيمان والهداية، ﴿فَأِنَّ لَهُ تَصَدَّى﴾ وتهتم به، وهذا: ما كان ينبغي!!

خاصة أنه: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى﴾ حيث إن الذي عليك البلاغ فقط.

﴿وَأَمَّا مَنِ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ في طلب الخير والهداية، ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ الله عز وجل،

ويرجو رحمته، ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ لَاهِي﴾ وتتشاغل، ولذلك: كان النبي ﷺ كلما جاءه عبد الله ابن أم مكتوم بعد ذلك يرحب به، ويقول له: «مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي».

ثم يكون النهي الإلهي للحبيب ﷺ عن فعل مثل ذلك مرة أخرى، مع بيان المولى لفضل القرآن الكريم، إذ يقول:

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝ ١١ فَنَسَاءَ ذَكَرُهُ ۝ ١٢ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝ ١٣ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝ ١٤ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝ ١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝ ١٦﴾

﴿كَلَّا﴾ يعني: لا تعد لمثل ذلك يا محمد، وعلى كل حال ﴿إِنَّهَا﴾ أي: آيات العتاب هذه جاءت في القرآن: ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ يستفيد منها الناس في تحقيق المساواة بينهم.

لذلك: ﴿فَمَنْ سَاءَ﴾ الهداية، والانتفاع بالقرآن ﴿ذَكَرُهُ﴾ وتعلمه، واتعظ به، وعمل بأحكامه، خاصة أنه: أي القرآن:

أولاً: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ عند الله.

ثانياً: هذه الصحف ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ في السماء.

ثالثاً: أنها ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ عن كل دنس، أو زيادة فيها، أو نقص منها.

رابعاً: أنها منسوخة من اللوح المحفوظ ﴿بِأَيْدِي﴾ ملائكة ﴿سَفَرَةٍ﴾ بين الله، وبين خلقه، وهم كرام على ربهم؛ لأنهم ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

حقاً: هذا كتاب ينبغي أن يكون هادياً للخلق في أقوالهم وأفعالهم، فمن اهتدى به: هداه الله، ومن ضل عنه، أو عاند: فإن الله يهدده بقوله:

﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ ۝ ١٧ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝ ١٨ مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرُهُ ۝ ١٩ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرُهُ ۝ ٢٠ ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ ۝ ٢١ ثُمَّ إِذَا سَاءَ أَنْشَرُهُ ۝ ٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ ۝ ٢٣﴾

﴿قُلِ﴾ لعن ﴿الْإِنْسَانُ﴾ الكافر، ﴿مَا﴾ الذي ﴿أَكْفَرُهُ﴾ وحمله على هذا العناد،

وعدم الإيمان؟

هل يدري هذا المعاند ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ ربه؟

إنه سبحانه خلقه ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ضعيفة، ﴿خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ أي: قدر أجله، ورزقه، وعمله، وشقي هو أو سعيد.

﴿ثُمَّ﴾ بعد حياة طويلة، أو قصيرة ﴿أَمَلَهُ﴾ بقدرته ﴿فَأَقْبَرَهُ﴾ أي: أمر بدفنه؛ تكريماً لجسده.

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ أي: بعثه بعد موته، وذلك للحساب، والجزاء. فهل اتعظ الإنسان بفعل الله هذا، وآمن به، وعمل بهديه؟

﴿كَلَّا﴾ إنه بالكاد ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرُهُ﴾ به ربه من التكليف، التي كان عليه أن يؤديها.

ومع ذلك: فإن الله ينعم على الإنسان بما يستحق منه سبحانه الشكر عليه، والاعتراف بقدرته سبحانه، حيث يقول المولى عز وجل:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَلْبَنَّا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبْنَا قَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيَّنَّاهَا لِنُحَلِّا ﴿٢٩﴾ وَحَدَّائِقُ غُلَبًا ﴿٣٠﴾ وَفَكَهَنَّ وَأَبَّا ﴿٣١﴾ مَنَّاعًا لَكُمْ وَلَا نُغَمِّكُمْ ﴿٣٢﴾

نعم، ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾ نظر اعتبار ﴿إِلَى طَعَامِهِ﴾ الذي يأكله؛ ليعرف إنعامنا عليه ذلك: ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ﴾ من السحاب؛ لمصلحته ﴿صَبًّا﴾، ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ﴾، بالنبات ﴿شَقًّا﴾، ﴿فَأَلْبَنَّا فِيهَا﴾ بهذا الماء ﴿حَبًّا﴾ كالقمح وغيره، ﴿وَعَبْنَا﴾ وكذلك ﴿قَضْبًا﴾ وهو علف الدواب، ﴿وَزَيَّنَّاهَا لِنُحَلِّا﴾ ﴿وَحَدَّائِقُ﴾ بساتين، أشجارها ﴿غُلَبًا﴾ أي: غليظة كثيرة، ﴿وَفَكَهَنَّ﴾ من كل نوع وطعم، ﴿وَأَبَّا﴾ وهو ما تأكله الدواب. كل ذلك: ﴿مَنَّاعًا لَكُمْ وَلَا نُغَمِّكُمْ﴾ إنعام من الله عليكم.

فهل اتعظ الإنسان بنعم الله هذه، وشكره سبحانه عليها، وآمن به، وعمل بهديه؟

ثُمَّ يَبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى: حال مَنْ اتعظ وآمن، وحال مَنْ لم يتعظ وعاند، وذلك في يوم القيامة، حيث يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ﴾ ٣٣ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ ٣٤ ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ ٣٥ ﴿وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ﴾ ٣٦ ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ ٣٧ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾ ٣٨ ﴿ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ ٣٩ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَبَرَةٌ﴾ ٤٠ ﴿تَرْهَقُهَا قَفَرَةٌ﴾ ٤١ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْفَجَرُ﴾ ٤٢ ﴿

يعني: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ﴾ متنهاها ﴿الصَّلَاةُ﴾ أي: النفخة التي تصم الآذان.

وذلك في يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ﴾ هاربًا ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * ﴿وَصَحْبِهِ﴾ أي: زوجته، ﴿وَبَنِيهِ﴾ لماذا يفر المرء هكذا؟

لأنه: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ﴾ في نفسه ﴿يُغْنِيهِ﴾ يشغله عن غيره.
يومها تكون الخلائق فريقين:

منهم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾ مضيئة، ﴿ضَاحِكَةٌ﴾ فرحة ﴿مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ بالنعيم والرضى، أولئك هم: المؤمنون.

ومنهم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَبَرَةٌ﴾ من سوء ما قدمت، ﴿تَرْهَقُهَا﴾ تعلوها ﴿قَفَرَةٌ﴾ سواد يجعل منظرها سيئًا.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ﴾ في قلوبهم، ﴿الْفَجَرُ﴾ في أعمالهم.

اللهم اجعل وجوهنا ﴿يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾ * ضاحكة مستبشرة، ولا تجعل وجوهنا ﴿يَوْمَئِذٍ غَبَرَةٌ﴾، ولا ﴿تَرْهَقُهَا قَفَرَةٌ﴾ بفضلك يا رب العالمين، اللهم آمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة التكوير

وهي سورة مكية، تتحدث عن القيامة، وحقيقة الوحي، وتبدأ بقوله الله عز وجل:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْبِحَالُ سُيِّرَتْ ۝٣
وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦
وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا
الْصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا الْجَبَلُ سُيِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا الْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ ۝١٣﴾

نعم، إذا حدث هذا، فقد قامت القيامة.

يعني: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ لَفَّت بعضها على بعض، وذهب ضوءها!! ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ أي: تساقطت من أماكنها!! ﴿وَإِذَا الْبِحَالُ سُيِّرَتْ﴾ من أماكنها، ونُسِفَتْ وصارت هباءً منبثًا!! و ﴿إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أي: الحوامل ﴿عُطِّلَتْ﴾ ولم يصبح لها قيمة، ولم تعد الأموال تنفع أصحابها!! ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ وجميع الحيوانات والحشرات جُمِعت، و ﴿حُشِرَتْ﴾ ليقْتَص لها من بعضها البعض!! ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ كلها ﴿سُجِّرَتْ﴾ أي: فجرت وفتحت على بعضها البعض، وأوقدت، فصارت نارًا!! ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ بأبدانها ﴿زُوِّجَتْ﴾ أي: رُكِبَتْ!! ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ﴾ التي قتلها أهلها ﴿سُيِّلَتْ﴾ تهديدًا لقاتلها ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾!! ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ التي فيها

أعمال الخلائق ﴿شُرَّتْ﴾ فتحت، وظهر للخلائق ما فيها!! ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ وأزيلت من أماكنها!! ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾ أوقدت بالنار الشديدة!! ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أي: قربت من أهلها المتقين؛ ليدخلوها.

إذا وقعت هذه الأشياء يوم القيامة:

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾

أي: ﴿عَلِمَتْ﴾ كل نفس حينئذ ﴿مَّا أَحْضَرَتْ﴾ أي: ما كتب في صحائفها من خير الأعمال وشرها.

ولهذا ينبغي على كل إنسان: أن يحذر هذا الموقف، وذلك: بالاستعداد بفعل الخير، والابتعاد عن فعل الشر.

ولكي نعرف طريق الخير، ففسير فيه، وطريق الشر فنبتعد عنه؛ علينا بالقرآن الذي يُقسم عليه ربنا في قوله:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُفِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾

يعني: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُفِ﴾ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ وهي الكواكب السيارة التي تظهر وتختفي، وتأتي وتغيب.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ أقبل بظلامه، أو أدبر.

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي: أضاء.

هذا هو المعنى، ولكن ما جواب هذا القسم؟

الجواب: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾

﴿إِنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ من هو هذا الرسول الكريم؟

إنه: جبريل عليه السلام.

كيف يكون القرآن قول جبريل ؑ؟

يعني: هو الذي نزل به من عند رب العالمين، وبلغه لمحمد ﷺ.

جبريل هذا يقول عنه رب العزة:

﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾

يعني: ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ صاحب قدرة كبيرة على فعل ما يكلف به، وهو ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ سبحانه وتعالى ﴿مَكِينٍ﴾ في مكانته، رفيع في منزلته، ﴿مُطَاعٌ﴾ من أفراد الملائكة ﴿ثَمَّ﴾ هو: هناك في عالم الملائكة ﴿أَمِينٍ﴾ على وحي الله تعالى لرسله.

وبالنسبة لمن نزل عليه القرآن عليه الصلاة والسلام، فيقول رب العزة:

﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ

بِضْنِينَ ﴿٢٤﴾﴾

أي: ﴿وَمَا﴾ محمد ﴿صَاحِبُكُمْ﴾ الذي تعرفونه جيداً ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ كما تزعمون أيها الكفار.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ أي رأى محمد ﷺ جبريل ؑ ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ الواضح، وذلك على صورة الملائكة عند بدء الوحي.

﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: محمد ﷺ ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾ أي: الوحي ﴿بِضْنِينَ﴾ ببخيل يمسك به ولا يبلغه، بل هو: أمين أمين أمين.

لذا: ينبغي تصديقه، والإيمان به، واتباع ما يبلغ به عن ربه عز وجل.

هذا الذي يوحى إليه، ويبلغه: هو القرآن، من عند رب العالمين.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿إِذَا تَذَهَّبَ ﴿٢٦﴾﴾

أي: ماذا تقولون؟ وأين تذهب عقولكم في شأنه؟

على آفة حال:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾
 أي: ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ وموعظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ يستفعون به، ويتعظون.
 ومن هنا: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾ الهداية والنجاة، عليه ﴿أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ على تعاليمه،
 وأدابه، وأحكامه.

واعلموا جيداً أنه:

﴿وَمَا نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٩﴾
 دون إكراه لكم ولا إجبار.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الانفطار

وهي سورة مكية، تتحدث عن القيامة والعتاب لهذا الإنسان الذي لا يشكر المنعم، ولا يعرف لربه قدره، وعلة تكذيب هذا الإنسان بيوم الحساب، وعن يوم الحساب. وتبدأ السورة بقوله عز وجل:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾﴾

نعم، إذا حدث هذا، فقد قامت القيامة.

يعني: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ أي: انشقت.

﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ أي: تساقطت من أماكنها.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ أي: فتحت على بعضها البعض، وصارت بحرًا واحدًا، واختلط العذب بالمالح.

و ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾ أي: فتحت، وقلب ترابها، وبعث موتاها.

نعم، إذا وقعت هذه الأشياء يوم القيامة:

﴿عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾

﴿عِلِمَتْ نَفْسٌ﴾ أي: علمت كل نفس حينئذٍ ﴿مَّا قَدَّمَتْ﴾ من طاعة ﴿وَأَخَّرَتْ﴾

ولهذا: ينبغي على كل إنسان، أن يحذر هذه المواقف، وذلك: بالاستعداد بفعل الخير، والابتعاد عن فعل الشر طاعة لله تعالى.

إذ في هذا اليوم يقول الله لهذا الإنسان:

﴿يَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾

يهدد الله الإنسان الكافر قائلاً: ﴿مَا﴾ الذي ﴿غَرَّكَ﴾ أي: جرَّأك على المعصية، وخذعك ﴿بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ العظيم، حتى عصيته؟

خاصة أنه سبحانه: هو ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ بعد أن لم تكن، ﴿فَسَوَّاكَ﴾ جعلك مستوي الخلق، سالم الأعضاء ﴿فَعَدَلَكَ﴾ جعلك في أحسن الهيئات والأشكال. وذلك ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ﴾ سبحانه بقدرته ﴿رَكَّبَكَ﴾ من الصور المختلفة. يقول ابن عمر رضي الله عنهما: «غرَّه والله جهله».

ويقول الحسن رضي الله عنه: «غرَّه والله شيطانه الخبيث؛ حيث زين له المعاصي، وقال له: افعل ما شئت، فربك الكريم الذي تفضل عليك أولاً، وستفضل عليك آخرًا، حتى ورَّطه».

ولكن: ما الذي أدى - حقيقة - بالإنسان إلى هذا الاغترار على هذا النحو الفاحش؟
الجواب: يقول الله تعالى:

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن الاغترار، مع بيان أن السبب الحقيقي لهذا الاغترار الذي دفعهم للكفر والعصيان: هو التكذيب بيوم الدين ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ وهو الجزاء في يوم القيامة. على أية حال أنتم تكذبون:

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينٍ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

نعم، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ﴾ من الملائكة ﴿لَحَافِظِينَ﴾ لأعمالكم وأقوالكم. مع كونهم ﴿كِرَامًا﴾ على الله تبارك وتعالى ﴿كَنِينٍ﴾ لكل ما يصدر عنكم.

وهم ﴿يَعْمُونَ﴾ بإعلام الله لهم ﴿مَا تَفْعَلُونَ﴾ لا يخفى عليهم شيء من أعمالكم.

وفي هذا: تهديد وتخويف من العصيان، ودعوة للطاعة والإيمان، وتذكير بيوم القيامة وأحواله وأحوال الناس فيه.

نعم، أحوال الناس، الذين ينقسمون فيه إلى قسمين:

يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ الْآبِرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصَلُونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾﴾

يبين الله في هذه الآيات: مصير القسم الأول، وهم المتقون الطائعون، فيقول: ﴿إِنَّ الْآبِرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ الجنة.

ثم يبين سبحانه: مصير القسم الثاني، وهم الكفار العصاة، فيقول: ﴿وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ النار.

هؤلاء الكفار: ﴿يَصَلُونَهَا﴾ يعني: يدخلونها، ويقاسون حرَّها ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ أي: يوم الجزاء. ﴿وَمَا هُمْ﴾ في الوقت ذاته، وعلى هذا الحال ﴿عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ لا بالهروب، ولا بالموت، بل هم فيها خالدون.

كل ذلك في يوم القيامة، الذي هو يوم الدين.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ وما أعلمك ﴿مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ وما فيه!!

﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ وعظمته، وشدته!!

﴿يَوْمَ لَا تَمَلِكُ﴾ فيه ﴿نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ ولو كان ذا قربي، ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ كما هو في كل وقت ﴿وَحْدَهُ﴾ لا معقب لحكمه، ولا رادّ لقضائه.